طربوشي بنتوفلي

لاحظتُ منذ أيام ان صبيَّ مزيّني يُطيل النظر في طربوشي اثناء تنظيفه . فتأكدتُ ان هذا الطربوش أصبح غير لائق لأن تتوّج بهِ هامتي فأبدلتهُ بآخر فصار لديَّ طربوشان . فلبستُ الجديد ووضعتُ القديم ناحية للانتفاع بهِ في يوم ماطر ، او سفر شاق ، او مظاهرة حادة

ولكن لم تمضِ أيام ثلاثة حتى تقلّص ظلُّ أملي في الطربوش القديم اذ قُدّم لي من قماشهِ الصفيق العتيق « بنتوفلي » من أفخر ما صنع عمال الأحذية

اذاً أصبح طربوشي حذائي ! !

فوقفتُ أمامه نحو نصف ساعة وكلما مددت قدماً للبسه أحسست بانكماش في أصابعي . لأنني مع اشتراكيتي التامة لم أرضَ لأول وهلة ان تتساوى قدماي برأسي

ولبثتُ طول النهار ولا شاغل لي غير الطربوش وتحوّله الفجائي الى « بنتوفلي » . وحدّثت نفسي في أمره غيرَ مرّة فرأيت انه لا بأس في ان أتعلّه لأنهُ ربما كانت قدماي أنفع وأشرف من رأسي ، بل ان رأسي يملّي عليَّ ما يؤذيني ويضرّ غيري . أما قدماي فبالعكس لا ضرر منهما ولا نفع لأحد

واذا كنت أظن ان قدميَّ لا تستحقان العناية فانني واهم لأن الناس على اختلاف طبقاتهم ينفقون على «جزَمهم» سواء في أثمانها او في تنظيفها

اضعاف اضعاف ما يصرفونه على طرابيشهم . بل منهم من يضع في جيبه قطعةً من الصوف وأحياناً علبة « ورنيش » ينظف بها من حين الى ولو بين آخر — اخوانه وأصدقائه — حذاءه الضيّق اللماع

ثم ان الرأس والقدم في درجة من الأهمية واحدة سواء في ما ورد عنهما في الكتب المنزلة او أقوال أساطين الحكمة والشعر والفلسفة

وكما يبدي المرء استحسانه او استقباحه لشيء ما برأسه فانهِ يبديهما أيضاً بقدميه . وربما كانت حركات القدمين أفعل في النفوس والعيون

وقد ذكّرتني المسألة بأمر ذي شأن خطير . فقد كنت قبلاً تمتلئ عيناي بهجةً وحبوراً بمشاهدة الحسان وقد كللنَ رؤوسهنّ بأفخر صنوف البرانيط . أما الآن فاني أفضل النظر الى أقدامهنّ وحركاتها وسكناتها على التطلع الى رؤوسهنّ سواء كانت عارية او مغطاة لتأكدي ان شعور أغلبهنّ «عيرة» . فتلك الجدائل والضفائر والحلقات المصقولة والمنحنيات المجعدة بل كل ما تراه من الشبكات والعقصات مشترًى من السوق وتختفي تحته قطع من اللبّاد يغمض الكثيرون عيونهم عند ما يلمحونها على طاولة التواليتْ

ومهما اجتهد امرؤ في تزيين قدميه والعناية بحذائه فان عمله لا يؤثر في غيره تأثير قلنسوات الشعور وشعور قضاة الانكليز (في بلادهم) بعقول السذّج وعامة الشعب

وأضفت الى هذا كله انهُ لولا الاقدام ومساعيها الخيرية لما كانت الرؤوس وفائدتها الادبية . فالعناية بالاقدام طبياً وذوقياً وأدبيا أسٌّ لحماية

الرؤوس . حتى ان الاميريكيّ مهما كان فقيراً معدماً يلبس برنيطة « على قدر الحال » ويصرف آخر سنت في جيبهِ على تنظيف جزمتهِ بالورنيش والبويه والبنزين والشمع

وهكذا اخذت اتدبَّر كل هذه النظريات واقارنهـا بعضها ببعض واخيراً قررت ما يأتي :

اولاً — الأسف على انحطاط الطربوش القديم

ثانياً — ان ألبس « البنتوفلي » الجديد في « رأس » العام الجديد

ثالثاً — ان لا أفضل رأسي على قدميّ في حال من الاحوال لأن لكل منهما عملاً لا يقوم به الآخر

وغاية الأمل ان يأتي يوم تتخلص فيـهِ من شرّ الجزَم والشراريب والطرابيش والبرانيط معاً

وكل عام وانتم . . . **توفيق هبيب**

الحقد

مثل الحقد في القلب اذا لم يجد محركاً مثل الجمر المـكنون اذا لم يجد حطباً . فليس ينفكُّ الحقد متطلعاً الى العلل كما تبتغي النار الحطب . فاذا وجد علة استعرَ فلا يطفئه حسنُ كلامٍ ولا لينٌ ولا رفقٌ ولا خضوع ولا تضرعٌ ولا مصانعة ولا شيء دون تلف الأنفس وذهاب الأرواح

ابن المقفع